النبذ في التعريف بأعلام «جمعية العلماء» (١)

نبذة مختصرة

عن

العلامة الشيخ

«عبد الحميد بن باديس»

رحمه الله تعالى

١٨٨٩م - ١٩٤٠م

أعدّها

محمود أبو عبد الرحمن





الطبعة الأولى

١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م

رقم الإيداع القانوني: ٢٠٠٢ — ١٧٣

ردمك: ٣ - ٠٠٩ - ٤٣ - ٩٩٦١



08، شارع السيدة الإفريقية - باب الوادي - الجزائر

هاتف: 021 96 77 00 فاكس: 021 96 61 00

موقعنا على الإنترنت: http://www.madjaliss.com

البريد الإلكتروني:

bareed@madjaliss.com

الحاضر بتاريخه الغابر»[١].

الباعث على إعداد «النُّبَذ»:

وقد دفعَنا إلى إعداد هذه النُّبَذ في التعريف بأعلام «جمعية العلماء» أمور، من أهمّها:

١ ــ بيان المنهج السديد الذي كان عليه أعلام «الجمعية» والمتمثّل في «دعوة المسلمين إلى العلم والعمل بكتاب ربّهم وسنّة نبيّهم، والسير على منهاج سلفهم الصالح في أخلاقهم وعباداتهم القولية والاعتقادية والعملية»[٢].

٢ ــ توثيق الصلة بين طلبة العلم وعلمائهم العاملين الناصحين «ورثة الأنبياء» من أساطين «جمعية العلماء»، بلزوم منهجهم واقتفاء آثارهم والاقتداء بهم في العلم والعمل والدعوة.

٣ ــ تيسير الوقوف على نُبذ مختصرة من سِيَرهم في أوراق معدودة

---

(١) المصدر نفسه.

(٢) من تقرير الكاتب العام لــ «جمعية العلماء» الشيخ العربي التبسي رحمه الله، لرسالة «الشرك ومظاهره» لمبارك الميلي رحمه الله، نشر مكتبة النهضة الجزائرية ط٢ سنة ١٩٦٦م.

تجمع ما تناثر عنهم في بطون الكتب والرسائل والمجلاّت والجرائد، ممّا يمهّد السبيل أمام أيّ باحث، ويفتح الطريق لكل دارس.

٤ ـــ الوفاء ببعض حقوقهم علينا ـــ نحن معشر طلاّب العلم ـــ بما خرّجوا من رجال، وربّوْا من أجيال، وخلّفوا من تراث علميّ لا يُستهان به، ولدورهم الرائد في نهضتها الشاملة.

﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ وَلاَ تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلاًّ لِلَّذِينَ آمَنُوا، رَبَّنَا إِنَّكَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ﴾. [الحشر: ١٠].

منهجي في «النُّبَذ»:

«النُّبَذ» تضمّ خمسة أجزاء مفردة في التعريف بفطاحل «جمعية العلماء المسلمين الجزائريين» وأعلامها البارزين ورجالها الغرّ الميامين، وعلمائها المحقّقين، وستصدر تباعًا إن شاء الله، بهذا الترتيب المراعي لسني وفاهم رحمهم الله أجمعين:

١ ـــ العلاّمة المجاهد الشيخ عبد الحميد بن باديس رحمه الله (ت: ١٩٤٠م).

٢ ـــ العلاّمة المحقّق مؤرّخ الجزائر الشيخ مبارك الميلي رحمه الله (ت: ١٩٤٥م).

٣ ــ العلاّمة الفقيه الشيخ العربي التبسي رحمه الله (ت: ١٩٥٧م).

٤ ــ العلاّمة الشاعر الخطيب الشيخ الطيب العقبي رحمه الله (ت: ١٩٦١م).

٥ ــ العلاّمة الأديب الشيخ محمد البشير الإبراهيمي رحمه الله (ت: ١٩٦٥م).

وكلّ جزء منها يتضمّن اسم المترجَم ونسبه ومولده ونشأته العلمية وأهمّ أعماله، ثمّ ذكر شيوخه وتلامذته، ثمّ ثناء أهل العلم والمعرفة عليه ثمّ عقيدته وآثاره العلمية.

وأخيرًا لا يفوتني أن أشكر كلّ من أعانني على إخراج هذه السلسلة المباركة «**النُّبَذ**» ولو بكلمة طيّبة فإنّ «من لا شكر الناس لا يشكر الله» كما قال ﷺ، وأخصّ بالشكر الجزيل والثناء ر أستاذنا الكريم الأديب الشاعر محمد الصالح رمضان ــ حفظه الله ومدّ في أنفاسه ــ الذي أمدّني بما توفّر عنده من جرائد «الجمعية» كـ«الشهاب» و«البصائر» وغيرهما، فجزاه الله عني وعن طلبة العلم خيرًا وجعا، في ميزان حسناته.

كما لا أنسى الآن[1] ــ وأنا أصحّح تجارب هذا الجزء ــ أن أسأل

(١) ونحن في يوم الأحد ٨ شوال ١٤٢٢ هـ ــ وقد مضى على وفاته شهر وبضعة أيام.

الله تعالى أن يتغمّد أخانا الكريم «نبيل صادق» ــ صاحب «مكتبة ابــن باديس «العامرة ــ برحمته الواسعة ويسكنه فسيح جنّاته ويجعل ما نشره في أرجاء الوطن من كتب علمية نافعة في ميزان حســناته ويتقــبّلها منه صدقات جارية يلحقه أجرها بعد وفاته، ويجزيه الجزاء الأوفى على ما قدّم من خدمات جليلة لطلاّب العلم. آمين.

اللّهم اجعل أعمالنا كلّها صالحة ولوجهك خالصة ولا تجعل لأحدٍ فيها شيئًا، وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين.

وكتب:

محمود بن جعفر بن الصديق لقدر

أبو عبد الرحمن

الجزائر في ١ ربيع الثاني ١٤١٩هـ

نبذة مختصرة

عن العلاّمة الشيخ عبد الحميد بن باديس

رحمه الله

اسمه ونسبه:

هو عبد الحميد بن محمد بن مكي بن باديس الصنهاجي؛

وينتهي نسبه إلى المعز بن باديس مؤسّس الدولة الصنهاجية الأولى التي خلّفت الأغالبة على مملكة القيروان، ومدّت ظلّها على شرق الجزائر حينًا من الدهر.

وبيت ابن باديس في قسنطينة بيت عريق في السؤدد والعلم:

فمن أسلافه المتأخّرين قاضي قسنطينة الشهير أبو العباس حميدة بن باديس، ومكي بن باديس القاضي بها أيضًا.

ووالده: (محمد مصطفى بن مكي بن باديس) صاحب مكانة مرموقة وشهرة واسعة، كان عضوًا في المجلس الجزائري الأعلى والمجلس

العامّ، كما كان عضوًا في المجلس العمّالي وعُرف بـــدفاعه عن مطالب السكان المسلمين بالعمالة القسنطينية ؛ وكان درعًا حصينًا لولده (عبد الحميد)، أبعد عنه كيد الاستعمار، ودافع عنه طويلاً.

وأمّه: السيّدة زهيرة بنت علي الأكحل بن جلول.

مولده :

ولد الشيخ عبد الحميد بن باديس بمدينة قسنطينة[١] في يوم الأربعاء ١٠ ربيع الثاني ١٣٠٨هـ الموافق لـ ٠٤/١٢/١٨٨٩م.

نشأته العلمية وأعماله:

❋ لقي عبد الحميد بن باديس ــ وهو البِكر ــ في كنف والده رعايةً تامّةً وعنايةً فائقةً واهتمامًا بالغًا ، وإليه يرجع الفضل ــ بعد هداية الله وتوفيقه ــ في نشأته الصالحة وتربيته على الدين والخلق وتوجّهه السديد ؛ وقد أشاد الابن البار بفضل والده عليه، فشكره ولم يكفره ! ونشره ولم يكتمه، معلنًا على رؤوس الأشهاد ــ في غير مناسبة ــ: «أنّ الفضل يرجع أوّلاً إلى والدي الذي ربّاني تربية صالحة ووجّهني وجهة

---

(١) تقع شرق الجزائر تبعد عن العاصمة بـ [٤٠٠] كيلو مترًا تقريبًا.

صالحة، ورضي لي العلم طريقة أتّبعها، ومشربًا أرده، وقاتني وأعاشني، وبراني كالسهم وراشني، وحماني من المكاره صغيرًا وكبيرًا، وكفاني كلف الحياة، فلأشكرنّه بلساني ولسانكم ما وسعني الشكر، ولأَكِل ما عجزت عنه من ذلك لله الذي لا يضيع جزاء العاملين».

❊ حفظ عبد الحميد القرآن الكريم على الشيخ محمد المداسي أشهر مقرئي قسنطينة يومئذٍ، ولم يتجاوز ثلاثة عشر عامًا.

❊ وفي سنة ١٩٠٣م أسلمه والده إلى العالم الجليل الشيخ حمدان الونيسي، فأخذ عنه مبادئ العلوم العربية والشرعية، وربّاه على العلم والفضل والأدب.

❊ وفي سنة ١٩٠٨م سافر إلى تونس لإتمام دراسته في جامع الزيتونة، فتتلمذ على صفوة علمائه ومشاهير الأعلام فيه، أمثال العلاّمة الشيخ محمد النخلي القيرواني، والعلاّمة الشيخ محمد الطاهر بن عاشور، والشيخ محمد الصادق النيفر، والشيخ بلحسن النجار، والشيخ محمد الخضر حسين، وغيرهم من أفاضل علماء الزيتونة.

❊ وفي سنة ١٩١١م نال عبد الحميد بن باديس شهادة التطويع

[العالمية] من الجامع الأعظم، وكان ترتيبه الأوّل بين جميع الطلبة الناجحين، كما كان الطالب الجزائري الوحيد الذي تخرّج من الزيتونة في تلك الدورة.

❋ وبقي بتونس عامًا بعد تخرّجه يشتغل بالتدريس في «جامع الزيتونة» على عادة المتخرّجين في ذلك الوقت.

❋ وفي عام ١٩١٢م عاد الشيخ من تونس إلى وطنه بعدما ملأ وَطَابَهُ علمًا وفقهًا وازداد فكره سُمُوًّا واتّساعًا، فقصد «الجامع الكبير» بقسنطينة لإلقاء بعض الدروس فيه من كتاب «الشِّفا» للقاضي عياض لكنّه سرعان ما مُنع من الإدارة الفرنسية بسعي مفتي قسنطينة يومئذ الشيخ: المولود بن الموهوب[1] عفا الله عنه، فقطع تلك الدروس في العام نفسه.

❋ بعدها فكّر الشيخ في الهجرة نهائيًّا من الوطن، وفي سنة ١٩١٣م غادر قسنطينة متوجّهًا إلى الحجاز لأداء فريضة الحجّ بعد استئذان والده.

---

(١) له ترجمة في «معجم أعلام الجزائر» (ص ٣٢٤) لعادل نويهض.

بسم الله الرحمن الرحيم

مُقدّمة

إنّ الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيّئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلّ له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له، وأشهد أنّ محمدًا عبده ورسوله.

أمّا بعد، فإنّ لـ «**جمعية العلماء المسلمين الجزائريّين**»[1] في أعناق المسلمين عامّة والجزائريّين خاصّة، منّةً عظمى تستوجب الثناء، وفضلاً كبيرًا تستحقّ عليه الشكر، وأيادي بيضاء ينبغي أن نُقابلها بلسان الحمد

---

(١) تأسست يوم ١٧ ذي الحجّة عام ١٣٤٩ هـ الموافق لـ ٥/٥/١٩٣١م، واختير الشيخ عبد الحميد بن باديس رحمه الله رئيسًا لها، ووُضع قانون أساسي لها.

وجميل الإحسان، لا أن نجابهها بالتجاهل والكتمان بَلْهَ الجحود والنكران !!

كيف لا ؟

ومن آثار هذه «الجمعية» المباركة: «بثُّ الوعي واليقظة في الشعب حتى أصبح يَعرف ما له وما عليه، وإحياء تاريخ الإسلام وأمجاد العرب التي كان الاستعمار يسدّ عليه منافذ شعاعها حتى لا يتسرّب إليه شيء من ذلك الشعاع، وتطهير عقائد الإسلام وعباداته من أوضار الضلال والابتداع، وإبراز فضائل الإسلام التي كان الاستعمار يغطّيها عن قصد لينساها المسلمون على مرّ الزمان بواسطة التجهيل وانزواء العقل والفكر»(١).

بل إلى هذه «الجمعية» الميمونة يرجع الفضل ـ بعد توفيق الله وعونه ـ في «إحياء اللسان العربي والنخوة العربية، وفي إحياء دين الإسلام وتاريخه المشرق، فأعادت لهما سلطانهما على النفوس وتأثيرهما في العقول والأرواح، وشأنهما الأوّل في الاتّعاظ والأسوة، فأحيت بذلك كلّه الشعب الجزائريّ، فعرف نفسه، فاندفع إلى الجهاد يحطّم الأغلال، ويطلب بدمه الحياة السعيدة والعيشة الكريمة، ويسعى إلى وصل تاريخه

---

(١) آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي (٥/٢٨٧-٢٨٨) بتصرّف.

❁ كانت رحلته إلى المدينة النبوية مباركةً إذ أُتيح له أن يتّصل فيها بجماعة من العلماء من مختلف أنحاء العالم الإسلامي، فقد التقى فيها بأستاذه الأوّل ومربّيه الكبير الشيخ حمدان الونيسي الجزائري ـ نزيل المدينة المنورة ـ وتعرّف على الشيخ محمد البشير الإبراهيمي ونشأت بينهما صداقة.

❁ كما التقى بالعلاّمة المحقّق الشيخ حسين أحمد الفيض أبادي الهندي ـ المدرّس بالمسجد النبوي ـ فنصحه بالرجوع إلى وطنه لخدمة الإسلام.

يقول ابن باديس: «أذكر أنّني لمّا زرتُ المدينة المنورة، واتّصلتُ فيها بشيخي الأستاذ حمدان الونيسي، وشيخي أحمد الهندي أشار عليّ الأوّل بالهجرة إلى المدينة، وقطعِ كلّ علاقة بالوطن، وأشار عليّ الثاني ـ وكان عالِمًا حكيمًا ـ بالعودة إلى الوطن، وخدمة الإسلام والعربية فيها بقدر الجهد، فحقّق الله رأي الشيخ الثاني، ورجعنا إلى الوطن، قصد خدمته، فنحن لا نهاجر، نحن حرّاس الإسلام والعربية في هذا الوطن».

❁ وعند رجوعه، عرّج الشيخ ابن باديس على مصر فالتقى ببعض

علمائها من أمثال مفتي الديار المصرية: الشيخ محمد بخيت المطيعي فأجازه، وكبير علماء الإسكندرية الشيخ أبي الفضل الجيزاوي، فأجازه أيضًا.

❋ رجع الشيخ إلى قسنطينة، فاتّخذ من «الجامع الأخضر» معهدًا لنشاطه العلمي والتربوي، فكان يعقد حلقاتٍ علميةً للطلاّب طول النهار، وفي المساء يلقي دروس الوعظ والإرشاد على الكبار.

يقول هو عن نفسه: «أمّا بداية تعليمي فيه فقد كانت أوائل جمادى الأولى ١٣٣٢هـ وكان ذلك بسعي من سيّدي أبي لدى الحكومة. فأذنتْ لي بالتعليم فيه بعدما كانت منعتني من التعليم «بالجامع الكبير» بسعي المفتي في ذلك العهد الشيخ المولود بن موهوب، وقد يسّر الله لنا بفضله فيه بالقيام بالتعليم فيه إلى اليوم»(١).

❋ وفي «الجامع الأخضر» ختم العلاّمة ابن باديس رحمه الله **تفسير القرآن** تدريسًا في مدّة خمسٍ وعشرين سنة، كما أتمّ شرح «**الموطّأ**» للإمام مالك رحمه الله تدريسًا أيضًا.

---

(١) أي سنة ١٣٥٧هـ الموافق لـ سنة ١٩٣٨م

❁ وفي سنة ١٩٢٥م أصدر الشيخ رحمه الله جريدة «**المنتقــد**»، لكنّها أوقفت من الإدارة الفرنسية بعد ظهور (١٨) عدداً منها، فخلّفتها صحيفة «**الشهاب**» الأسبوعي التي حوّلها إلى «**مجلّة الشهاب**» الشهرية منذ رمضان ١٣٤٧هـــ الموافق لـــ فبراير ١٩٢٩م، كما أصدر جرائــد أخرى منها «**السنّة**» و«**الشريعة**» و «**الصراط**» و «**البصائر**».

❁ كما أسّس رحمه الله تعالى **المطبــعة الجزائرية الإســلامية** التي كانت تطبع جريدة ومجلة «الشــهاب» في نفس التاريخ الذي صدر فيها «الشهاب» أي عام ١٩٢٥م.

❁ اتّخذ الشيخ ـــ بمؤازرة من إخوانه العلماء المصلحين كالطيّب العقبي ومبــارك الميلي وغيرهما ـــ من الصحــف المذكورة آنفًا ســيما «المنتقد» و «الشهاب» منبرًا لتبليغ دعوتهم الإصلاحية النقــية، وبــيان منهجهم السلفي القائم على الكتاب والســنّة وفهم ســلف الأمّة، أمرًا بالمعروف ونهيًا عن المنكر، وإحياءً للسنّة وإماتةً للبــدعة وقــمعًا لها، مع الصدع بالحقّ لا يخاف في الله لومة لائم.

❁ وكانت مقالات الشيخ بتلك الصحف كالصارم المســلول

على أهل البدع من الطرقيّين وغيرهم من المنحرفين، وشجًى في حلوقهم تكشف عوارهم وتهدم قلاعهم، وتدمغ باطلهم فإذا هو زاهق ! فاحتدم الصراع بين الفريقين مما دفع هؤلاء المنحرفين عن السنّة، الغارقين في الضلال والبدعة إلى تدبير مكيدة شنيعة بالاعتداء الأثيم على الشيخ العلاّمة عبد الحميد بن باديس لو لا أنّ الله حفظه وحماه وأنقذه.

وقد وقعت محاولة الاغتيال[1] هذه ليلة الأربعاء ٩ جمادى الثانية ١٣٤٥هـ الموافق لـ ١٤/١٢/١٩٢٦م.

✵ وفي سنة ١٩٣١م ـ أي في العام الذي إحتفلت فيه فرنسا بمرور قرن على احتلالها للجزائر ـ تمّ تأسيس «**جمعية العلماء المسلمين الجزائريين**» فانتُخب الشيخُ عبدُ الحميد بن باديس ـ غيابيًا ـ رئيسًا لها.

✵ استمرّت «جمعية العلماء» برئاسة ابن باديس في الدعوة الإسلامية بين الجزائريين وربطهم بدينهم ولغتهم، فأنشأت المدارس العربية الإسلامية للحفاظ على عقيدة الأجيال الناشئة ولغتهم.

---

(١) انظر تفاصيلها في «صراع بين السنة والبدعة» للشيخ أحمد حماني رحمه الله.

وقد واجهت «الجمعية» عدوّين متعاونين يمتصّان دمه ويتعرّقان لحمه ويفسدان عليه دينه ودنياه.

أولهما: استعمار مادّي ـــ وهو الاستعمار الفرنسي ـــ يعتمد على الحديد والنار، الذي عمل جاهدًا على احتواء الجزائر أرضًا وشعبًا وعقيدةً وثقافةً، وصياغة الأجيال صياغةً فرنسيةً غربيةً كافرةً.

ثانيهما: الاستعمار الروحاني ويمثّله مشايخ الطرق الصوفية المؤثّرون في الشعب والمتغلغلون في جميع أوساطه والمتاجرون باسم الدين والمتعاونون مع الاستعمار عن رضى وطواعية.

شيوخه:

وهم أصحاب الأيادي البيضاء على مترجَمنا، الذين يعترف لهم بالفضل عليه بعد والده، وكلّما ذكرهم أثنى عليهم الثناء العاطر وشكرهم الشكر الجزيل ونوّه بهم لأثرهم البليغ في مجرى حياته.

يقول ابن باديس: «إنّ الفضل يرجع أوّلا إلى والدي...

ثمّ لمشايخي الذين علّموني العلم وخطّوا لي مناهج العمل في الحياة و لم يبخسوا استعدادي حقّه، وأذكر منهم رجلين كان لهما الأثر البليغ في تربيتي وفي حياتي العملية، وهما من بين مشايخي اللذان تجاوزا بي حدّ التعليم

المعهود ــ من أمثالهما لأمثالي ــ إلى التربية والتثقيف والأخذ بــاليد إلى الغايات المثلى في الحياة».

أحد الرجلين:

١ ــ **الشيخ حمدان الونيسي القسنطيني** نزيل المدينة المنورة ودفينها [المُتوفَّى سنة ١٩٢٠م رحمه الله تعالى].

يقول ابن بــاديس: «وإني لأذكر للأوّل[١] وصيّة أوصاني بها وعهدًا عهد بي إليّ، وأذكر ذلك العهد في نفسي ومستقبلي وحياتي وتاريخي كلّه، فأجدني مَدينًا لهذا الرجل بمنّةٍ لا يقوم بها الشكر، فقد أوصاني وشدّد عليّ أن لا أقرب الوظيفة، ولا أرضاها ما حييت، ولا أتّخذ علمي مطيّة لها كما كان يفعله أمثالي في ذلك الوقت»[٢].

٢ ــ **العلاّمة الشــيخ محمد النخلي القــيرواني**[٣] [المتوفَّى ســنة

(١) يعني الشيخ حمدان الونيسي.

(٢) رحم الله الشيخ النصوح وتلميذه البار! وأين نحن ــ يا أهل العلم وطلبته ــ من هذه الوصية الغالية !!؟ فاللّهمّ غفرًا.

(٣) ترجمه في «شجرة النور الزكية»: [ت ١٦٨٨].

وانظر «آثار الشيخ محمد النخلي»: سيرته الذاتية وأفكاره الإصلاحية. جمع وتقديم: =

١٩٢٥م رحمه الله تعالى].

يقول ابن باديس: «وأذكر للثاني كلمة لا يقلّ أثرها في ناحيتي العلمية عن أثر تلك الوصية في ناحيتي العملية، وذلك أنّي كنت متبرمًا بأساليب المفسّرين وإدخالهم لتأويلاتهم الجدلية واصطلاحاتهم المذهبية في كلام الله، ضيق الصدر من اختلافهم من القرآن، وكانت على ذهني بقية غشاوة من التقليد واحترام آراء الرجال حتى في دين الله وكتاب الله، فذاكرتُ يومًا الشيخ النخلي فيما أجده في نفسي من التبرّم والقلق، فقال لي: «اجعل ذهنك مصفاةً لهذه الأساليب المعقّدة وهذه الأقوال المختلفة وهذه الآراء المضطربة يسقط الساقط ويبق الصحيح وتستريح!».

فوالله لقد فتح بهذه الكلمة القليلة عن ذهني آفاقًا واسعةً لا عهد له بها».

والشيخ النخلي من علماء الزيتونة القلائل المشار إليهم «بالرسوخ في العلم، والتحقيق في النظر، والسموّ والاتّساع في التفكير»، كما وصفه تلميذه ابن باديس.

= عبد المنعم النخلي: نشر دار الغرب الإسلامي ــ بيروت سنة ١٩٩٥م.

٣ ــ **العلاّمة الشيخ محمد الخضر بن حسين**(١) **الطولقــي** الجزائري التونسي ثمّ المصري شيخ الجامع الأزهر [المُتَوفَّى سنة ١٩٥٨م رحمه الله].

وقد تلقّى عنه ابن باديس «تهذيب المنطق» بجامع الزيتونة، وسمع منه دروسًا من صدر «تفسير البيضاوي» بداره بشارع باب منار من تونس.

٤ ــ **العلاّمة الشيخ محمد الطاهر بن عاشور**(٢): شيخ الإسلام المالكي، وشيخ الجامع الأعظم بتونس، [المتوفى سنة ١٩٧٣م رحمه الله تعالى].

يقول ابن باديس: «وإنْ أنْسَ فلا أنسى دروسًا قــرأتُها من (ديوان الحماسة) على الأستاذ ابن عاشور، وكانت أوّل ما قــرأتُ عليه، فقــد حبّبتني في الأدب والتفقّه في كلام العرب، وبثّتْ فيّ روحًا جديدًا في فهم المنظوم والمنثور،وأحيت منّي الشعور بعزّ العروبــة والاعتزاز بها كما أعتزّ بالإسلام».

---

(١) انظر في ترجمته: ــ مقدّمة «السعادة العظمى» (ص ٦) جمع وتحقيق علي رضا التونسي.
ــ «النهضة الإسلامية» (١/٥١-٦٦) للبيومي.

(٢) انظر ترجمته في: ــ «شيخ الجامع الأعظم محمد الطاهر ابن عاشور». تأليف د.بلقاسم الغالي.
ــ «النهضة الإسلامية» (٥/٢٨٠-٢٩٣) للبيومي.
ــ «آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي» (١/٢٢١-٢٢٦ و٣/٥٤٨-٥٥٢).
ــ مجلة «الثقافة» العدد (١٦) (ص ١٢٦-١٢٨).

٥ ــ **العلاّمة الشيخ محمد بخيت المطيعي**(١): مفتي الديار المصرية وشيخ الجامع الأزهر [المتوفى سنة ١٣٥٤هـ الموافق لـ ١٩٣٥م رحمه الله تعالى].

يقول ابن باديس: «لما رجعتُ من المدينة المنورة على ساكنها وآله الصلاة والصلاة والسلام سنة ١٣٣٢هـ، جئتُ من عند شيخنا العلاّمة حمدان الونيسي المهاجر إلى طيبة والمدفون بها ــ رحمه الله ــ جئتُ من عنده بكتاب إلى الشيخ بخيت وكان قد عرفه بالأسكندرية لما مرّ بها مهاجرًا فعرّجتُ على القاهرة وزرتُ الشيخ بخيت بداره بحلوان مع صديقي الأستاذ إسماعيل جغر(٢) المدرّس اليوم بالأزهر، فلمّا قدّمت له كتاب شيخنا حمدان، قال لي: «**ذاك رجل عظيم**»، وكتب لي إجازة في

---

(١) من مؤلّفاته «أحسن الكلام فيما يتعلّق بالسنّة والبدعة من الأحكام» و«الكلمات الحسان في الأحرف السبعة وجمع القرآن» و«الأجوبة المصرية عن الأسئلة التونسية» و«رفع الأغلاق عن مشروع الزواج والطلاق» وغيرها.

انظر ترجمته في: ــ الأعلام (٦/ ٥٠) للزركلي.

ــ النهضة الإسلامية في سير أعلامها المعاصرين (٣/ ٣٢٧-٣٤٦) للدكتور البيومي.

ــ آثار الإمام عبد الحميد ابن باديس (٣/ ١٠٠-١٠١).

(١) هو إسماعيل بن علي بن صالح الجيجلي، من آل جغر. توفّي رحمه الله سنة ١٩٦٦م بالقاهرة. انظر: «صراع بين السنة والبدعة» (٢/ ١١٦-١١٩) لحماني.

دفتر إجازتي بخطّ يده، رحمه الله وجازاه عنّا وعن العلم والدين خير ما يجزي العاملين الناصحين».

تلاميذه:

قضى العلاّمة ابن باديس ــ رحمه الله ــ مدّة طويلة في التدريس والتعليم بالجامع الأخضر بقسنطينة، وفيه ــ كما علمنا آنفًا ــ ختم تفسير القرآن الكريم تدريسًا في ربع قرن من الزمن، وفيه أكمل شرح «الموطّأ» للإمام مالك ــ رحمه الله تعالى ــ، كما كان يعقد فيه حلقات علمية في شتى العلوم الإسلامية، ويُلقي دروسًا عامّةً في الوعظ والإرشاد؛ وكان طلاّبه الذين يشهدون دروسه يُعدّون بالعشرات بل بالمئات يأتون من كلّ فجّ عميق من أنحاء مختلفة من الوطن الجزائري ليشهدوا منافع لهم **﴿لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾** [التوبة:١٢٢]، فتخرّج على يديه ــ رحمه الله تعالى ــ جمع من الطلبة الجادّين، منهم العالم الكبير والمؤلّف البارع والشاعر الفحل والخطيب المصقع والمربّي الفاضل والسياسي الحكيم؛

يقول الشيخ البشير الإبراهيمي: «رأيتُ شبّانًا ممّن تخرّجوا على

يد هذا الرجل[1] وقد أصبحوا ينظمون الشعر العربي بلغة فصيحة وتركيب عربيّ حرّ، ومعانٍ بليغة، وموضوعات منتزعة من صميم حياة الأمّة، وأوصافٍ رائعة في المجتمع الجزائري وتشريح لأدوائه، ورأيت جماعة أخرى من أولئك التلامذة وقد أصبحوا يُحبّرون المقالات البديعة في الصحف، فلا يقصرون عن أمثالهم من إخوانهم في الشرق العربي، وآخرون يعتلون المنابر فيحاضرون في الموضوعات الدينية والاجتماعية، فيرتجلون القول المؤثّر والوصف الجامع، ويصفون الدواء الشافي بالقول البليغ».

ومن أبرز هؤلاء:

١ ــ **العلاّمة الشيخ مبارك الميلي**[2]: [المتوفى سنة ١٩٤٥م ــ رحمه الله تعالى ــ]: صاحب السِفْرَين الجليلين: «**رسالة الشرك ومظاهره**» و «**تاريخ الجزائر في القديم والحديث**».

٢ ــ **الأستاذ الشيخ الفضيل الورتلاني**[3]: [المتوفى سنة ١٩٥٩م

---

(١) يعني ابن باديس.

(٢) انظر ترجمته بشيء من البسط في الجزء الثاني من هذه السلسلة «النبذ».

(٣) انظر ترجمته في «آثار محمد البشير الإبراهيمي» (٢/٣٢٨-٣٣١ و٣/٥٩١-٥٩٣ =

ـــ رحمه الله تعالى]: «حضر على شيخه معظم دروس التفسير»، وبعد أن استغلظ واستوى على سوقه ـــ علمًا وفقهًا ومعرفةً ـــ أصبح مساعدًا لأستاذه ابن باديس في إلقاء الدروس للتلامذة وكانوا يجاوزون ثلاثمائة طالب.

٣. ـــ **الأديب الشاعر محمد السعيد الزاهري**: [المتوفى سنة ١٩٥٦م ـــ رحمه الله تعالى ـــ]: صاحب القصائد الرنّانة والمقالات الحادّة اللهجة، حرّر في «المنتقد» ثمّ في «الشهاب» وغيرهما من جرائد «جمعية العلماء».

٤ ـــ **الأديب الشاعر الشيخ الهادي السنوسي**: [المتوفى سنة ١٩٧٤م ـــ رحمه الله تعالى ـــ]: صاحب كتاب «شعراء الجزائر في العصر الحاضر».

٥ ـــ **الشاعر الكبير الأستاذ موسى الأحمدي نويوات**[1] **رحمه الله**

= و٤/١٤٧-١٥١ و٣١٨-٣٢٣) و«أعلام الفكر والثقافة في الجزائر المحروسة» (١/١٧٦ ـــ ٢٠٨) للدكتور يحي بوعزيز.

(١) انظر ترجمته في «أعلام الفكر والثقافة» (١/٢٤٠-٢٤٦).

تعالى ــ: وهو مؤلّف كتاب «المتوسّط الكافي في علمي العروض والقوافي» و«شرح الأسئلة الرمضانية» وغيرهما.

٦ ــ الأديب الكاتب محمد الحسن فضلاء[١] الورتلاني رحمه الله تعالى: الذي اعتنى بنشر جريدة «البصائر» لسان حال «جمعية العلماء المسلمين الجزائريين» فأصدر المجموعة الأولى [الأعداد (١-٥٠) من السلسلة الأولى].

٧ ــ الأستاذ الفقيه أحمد حماني[٢] الميلي رحمه الله تعالى: رئيس المجلس الإسلامي الأعلى سابقًا وصاحب الكتاب النافع «صراع بين السنّة والبدعة» المطبوع في جزئين، و«الفتاوى» المنشور في جزئين أيضًا.

٨ ــ الشاعر الأديب محمد الصالح رمضان القنطري حفظه الله تعالى[٣]: راوية كتاب «العقائد الإسلامية من الآيات القرآنية والأحاديث

---

(١) انظر ترجمته في المصدر نفسه (١/١٦٥-١٧٦).

(٢) ترجم لنفسه في آخر كتابه «صراع بين السنّة والبدعة».

(٣) له ترجمة في: ــ «روحي لكم» للسائحي.

ــ «صوت الجزائر في الفكر العربي الحديث» لــ د. عمر بن قينة.

النبوية» إملاء شيخه ابن باديس، وجامع «تفسير ابن باديس» في مجلّد.

يقول الأستاذ محمد الصالح رمضان عن نفسه:

«عرفتُ الإمام في حداثة سنّي، حين عزفتُ عن التعليم الابتدائي الفرنسي، لأعيش في رحابة ديني ولغتي، اللذين لم أكن أعرف عنهما إلاّ القليل النادر، وبمعرفتي به صححتُ وضعًا أُكرهت عليه، حين كنتُ لا أدري عن تلوين مستقبلي شيئًا... عرفتُه... فعرفتُ أمّةً في رجل واستشعرتُ بعدئذٍ المعنى العميق لقول الشاعر:

ليس على الله بمستنكر ... أن يجمع العالَمَ في واحد

واستمرّ بي المقام في رحاب الشيخ خمس سنوات، وهي مدّة ليست بالطويلة في عمر الزمان، ولكنّها ـ والحمد لله ـ أثّرت وأثمرت، بعدما أينعت فيما أظنّ؛ إذ استدعاني الإمام بعد ثلاث سنوات فقط من التلمذة عليه لأعاونه في التدريس لطلاّبه بقسنطينة مع معاونيه، ثمّ عيّنني معلّمًا في مدرسة التربية والتعليم بقسنطينة، ومع ذلك لم أنقطع عن دروسه العامّة، وخاصّة درس التفسير، حتى لقي ربّه في ١٦/٤/١٩٤٠م رضي الله عنه وأرضاه»[1].

---

(١) مقدّمة العقائد الإسلامية (ص٨-٩).

ثناء أهل العلم والمعرفة عليه:

❁ قال أمير البيان شكيب أرسلان ــ رحمه الله تعالى ــ: «وأمّا «تاريخ الجزائر»[(١)] فوالله ما كنت أظنّ في الجزائر من يفري هذا الفري، ولقد أُعجبتُ به كثيرًا، كما أنّي كنت مُعجَب بكتابة ابن باديس، فالميلي وابن باديس والعقبي والزاهري حملة عرش الأدب الجزائري الأربعة».

❁ وقال الشيخ محمد الطاهر بن عاشور ــ رحمه الله تعالى ــ في تقريظه لرسالة ابن باديس: «جواب سؤال عن سوء مقال»[(٢)]:

«العالم الفاضل، نبغة العلم والمجادّة، وقريع التحرير والإجادة، ابننا الذي أفتخر ببُنُوّته إلينا الشيخ سيدي عبد الحميد بن باديس».

---

(١) للشيخ مبارك الميلي.

(٢) رسالة قيّمة ردّ فيها الشيخ عبد الحميد بن باديس ــ رحمه الله ــ على المدعو (أحمد بن عليوة المستغنامي) ــ شيخ الطريقة العليوية، ومجدّد الطريقة الشاذلية، وأحد دعاة الحلول ووحدة الوجود ــ لما خرج عن دائرة الأدب المرعية وهجّم على مقام النبوّة في ديوان له مطبوع سنة ١٩٢٠م.

والرسالة طبعتها المطبعة الجزائرية الإسلامية بقسنطينة (دون تاريخ)، ولعلّ الله ييسّر لنا نشرها من جديد بشيء من التحقيق، والله وليّ التوفيق.

* وقال الشيخ محمد الصادق النيفر ـ رحمه الله تعالى ـ في تقريظها:

«الابن الروحي والأخ النصوحي، العلاّمة المدقّق ومن هو بكلّ فضيلة متّصف ومتعلّق، عمدة المغرب الأوسط والصاعقة على الدجاجلة الطراريس، الأستاذ سيدي عبد الحميد بن باديس، أتحفه الله بكلّ فضيلة وأزاح بعلومه وتحريراته كلّ رذيلة».

* وقال الشيخ شُعيب التلمساني ـ رحمه الله ـ في تقريظها:

«الجهبذ الإمام، وأحد الأئمّة الأعلام، والمحرّر الْمُجيد، ذو الخلق السُّني الحميد، أَنيس كلّ جليس، الشيخ سيدي عبد الحميد بن باديس».

* وقال المحدّث الْمُسنِد الرّحّالة الشيخ عبد القادر بن محمد بن عبد القادر السودي في تقريظه أيضًا:

«الشيخ الإمام الْهُمام، عالم الديار القسنطينية، الإيوان النفيس، السيّد عبد الحميد بن باديس».

* وقال العلاّمة الشيخ مبارك الميلي ـ رحمه الله تعالى ـ:

«الأستاذ العظيم والمرشد الحكيم، عُدّتُنا العِلمية وعُمدتُنا

الإصلاحية».

✵ وقال العلاّمة الشيخ الطيّب العقبي ــ رحمه الله تعالى ــ:
«المصلِحُ الفذّ، والعلاّمة الذي ما أنجبت الجزائر ــ منذ أحقاب ــ مثله إلاّ قليلاً».

✵ وقال العلاّمة الأديب الشيخ محمد البشير الإبراهيمي ــ رحمه الله تعالى ــ:

«باني النهضتين العلمية والفكرية بالجزائر، وواضع أسسها على صخرة الحقّ وقائد زحوفها المغيرة إلى الغايات العليا، **وإمام الحركة السلفية**، ومنشئ مجلّة «الشهاب» مرآة الإصلاح وسيف المصلحين، ومربّي جيلين كاملين على الهداية القرآنية والهدي المحمّدي وعلى التفكير الصحيح، ومُحيي دوارس العلم بدروسه الحيّة، ومفسّر كلام الله على الطريقة السلفيّة في مجالس انتظمت ربع قرن، وغارس بذور الوطنية الصحيحة، وملقّن مباديها، عالم البيان وفارس المنابر، الأستاذ الرئيس الشيخ عبد الحميد بن باديس، أوّل رئيس لـ «جمعية العلماء المسلمين الجزائريين»، وأوّل مؤسّس لنوادي العلم والأدب وجمعيات التربية

والتعليم، رحمه الله ورضي عنه»[1].

❊ وقال الأستاذ أحمد توفيق المدني رحمه الله تعالى في كلمة الإهداء التي توّج بها كتابه «عثمان باشا»:

«إلى الرجل الذي أيقظ أمّةً وأنشأ جيلاً، وربط بين ماضي الوطن وحاضره، وهيّأ له مستقبله، في ميدان العلم والشرف، فكان شخصه الكريم نقطة الاتصال بين الجزائر الغابرة الماجدة، والجزائر الحاضرة المجاهدة، والجزائر المقبلة الخالدة!

إلى العالم العامل عبد الحميد بن باديس رئيس «جمعية العلماء المسلمين الجزائريين» الثابت أصلها، المتسامي لآفاق العلياء فرعها، أتشرّف بتقديم هذا الكتاب شاهدَ ولاءٍ وإكبار وإعجاب، وتقديرًا لأعماله وتضحياته النادرة المثال في سبيل الله، وفي سبيل العلم والعربية، وفي سبيل الوطن المفدّى».

وقال أيضًا: «انطفأ السراج الوهاج الذي أشرق نوره على الجزائر، فتغلغل في كلّ أرجائها، وسار في شرايينها مسرى الروح في الجسد، وأعاد

---

(١) آثار الإبراهيمي (٣/٥٥٢).

وانظر (٢/٥٣-٥٨، و١٩٤-١٩٨، و٣/٥٨٨-٥٩٠) من المصدر ذاته.

إليها الحياة، وأكسبها القوّة والمنعة والصلابة.

مات العملاق الفحل، العبقري الخالد، عبد الحميد بن باديس، وكان ملء السمع، وملء البصر، وملء الفؤاد».

«رحم الله ابن باديس العظيم، لقد دخل عالم الخلود من أوسع أبوابه، ومن كان مثله علمًا وعملاً، وجهادًا، ونفعًا وتواضعًا، وزهدًا وورعًا، فهو خالد لا يموت، إنّه موجود في كلّ قلب، إنّه حيٌّ في كلّ فكر، إنّه حاضرٌ في كلّ ضمير، إنّه الشمس المشرقة التي لا تغيب أبدًا، مهما قال شانئوه، ومهما همز ولمز حاسدوه»[(١)].

✵ وقال د. محمد البهي رحمه الله تعالى:

«الإمام عبد الحميد بن باديس رئيس «جمعية العلماء» بالجزائر، وباعث النهضة الإسلامية العربية فيها، وقائد الثورة ضدّ الاستعمار الفرنسي في هذه البلاد العزيزة، واحدُ من العلماء المصلحين والمفكّرين الرُوّاد في الوطن الإسلامي والعربي».

✵ وقال د. توفيق شاهين:

---

(١) حياة كفاح (٢/٢٧٥).

«كان ابن باديس أبيض اللون، مشرَّبًا بحُمرة، كثّ اللحية، نحيل الجسم، واسع العينين، نافذ البصرات، زاهدًا عفيفًا، متسامحًا ورعًا، رفيقًا متفائلاً، أوّابًا توّابًا، يعفو عمّن أساء إليه، صارمًا في الحقّ، له شجاعة نادرة، وصبر على العمل، جهوري الصوت، حسن السمت، لطيف الهندام، في بساطة محبّبة، لا ينطق إلاّ في حقّ، ولا يسكت على باطل، يردّ على معارضيه بطول نفَس وسَعة صدر، ويتناول الموضوع فيجلّي جميع أطرافه، محافظًا على مواعيده، ومنظّمًا لأوقاته، ذاكرًا للقرآن، ومتذكّرًا للسنّة في فراغه وراحاته».

قال: «وعلى الجملة، فهو شخصية غنيّة ثرّة فيّاضة مؤثّرة متأثّرة».

* وقال د. عمّار الطالبي:

«إنّه شخصيةٌ عجيبةٌ، مُجَدِّدٌ للنفوس البالية، وباعثٌ للضمائر الخامدة والقلوب الهامدة، باثٌّ للعلم، محرّكٌ للعقول، مرجع الثقة للناس، زارع بذور الثورة، مشيع فكرة الحرّية، مبين المحجّة البيضاء التي ليلها كنهارها، فانكشفت به الغياهب الدكناء، وانجابت الغيوم الكثيفة والضباب العاتم من سماء الجزائر، واستمرّ يواصل النضال العلمي والاجتماعي والسياسي: يعلّم ويرشد ويعظ ويحرّر ويتنقّل ويتعبّد ويتأمّل

ويحقّق، لا يهدأ له بال لا بالليل ولا بالنهار، ولم يشفق على نفسه ولا على جسمه، ولم يبال بصحّته في سبيل مبدأ أعظم، وأمّة يسوءه حالها، ويدمي نفسه احتلالُها، ويدفعه للبذل والسهر مآلُها وآماله وآمالها، أفنى ذاته في سبيل عقيدة وقضى من أجل رسالة».

وقال: «إنّ الشيخ ابن باديس **أمّة وحده**، استطاع بمفرده أوّلاً، وبمساعدة إخوانه من العلماء ثانيًا، أن يقوم بتربية جيل وتكوين أمّة، وتبصيرها بشخصيتها ومقوّماتها، وهو الذي استطاع أن يضع أصول نهضتنا الفكرية والاجتماعية والأخلاقية والسياسية.

عقيدته:

كان ابن باديس رحمه الله تعالى **سلفيًّا، متّبعًا للأثر، متمسّكًا بالسنّة، على الطريقة المرضية التي كان عليها السلف الصالح** من الصحابة والتابعين والأئمّة الأربعة المجتهدين، وغيرهم من أعلام الهدى ومصابيح الدجى ممّن اقتفى آثارهم واتّبع سبيلهم، بعيدًا كلّ البعد عن أهل الكلام والبدع، في العقائد والأعمال وغيرها، لا يعرف التأويل ولا يخوض فيه.

والشواهد على ذلك كثيرة متوافرة:

١ ـ ما سطّره في كتابه النافع «العقائد الإسلامية من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية» دليل واضح على سلوكه منهج السلف في إثبات العقائد.

ففي مسائل الإيمان يقرّر الشيخ رحمه الله أنّ الإيمان «قول باللسان وتصديق بالقلب وعمل بالجوارح، فمن استكمل ذلك استكمل الإيمان، ومن لم يستكمله لم يستكمل الإيمان» وأنّه «يزيد وينقص: يزيد بزيادة الأعمال وينقص بنقصها» و«أنّ من ضيّع الأعمال لم يخرج من دائرة الإيمان» و«لكن يسمّى فاسقا حتى يتوب».

وفي مبحث أسماء الله وصفاته يقرّر الشيخ عقيدة السلف الصالح أهل السنّة والجماعة: عقيدة الإثبات والتنزيه فيقول:

«ونثبت له ما أثبته لنفسه، على لسان رسوله، من ذاته، وصفاته، وأسمائه،وأفعاله. وننتهي عند ذلك ولا نزيد عليه، وننزّهه في ذلك عن مماثلة أو مشابهة شيء من مخلوقاته.

ونثبت الاستواء والنزول ونحوهما، ونؤمن بحقيقتهما على ما يليق به تعالى بلا كيف، وبأنّ ظاهرها المتعارف في حقّنا غير مراد».

وكان رحمه الله يتمثّل بالبيتين:

فنحن معشر فريق السنّة   السالكين في طريق الجنّة
نقول بالإثبات والتنزيه   من غير تعطيل ولا تشبيه

وفي باب التوحيد: يبيّن الشيخ رحمه الله أنّ التوحيد هو اعتقاد وحدانية الله وإفراده بالعبادة، والأوّل هو التوحيد العلمي والثاني هو التوحيد العملي، ولا يكون المسلم مسلمًا إلاّ بهما.

ومن توحيده تعالى: توحيده في ربوبيته، وهو العلم بأن لا خالق غيره ولا مدبّر للكون ولا متصرّف فيه سواه.

ومن توحيده تعالى: توحيده في أولوهيته، وهو العلم بأنّه تعالى هو المستحقّ للعبادة وحده دون سواه، والقصد والتوجّه والقيام بالعبادات كلّها إليه.

ووحدانيته تعالى في ربوبيته مستلزم وحدانيته تعالى في ألوهيته، فالمنفرد بالخلق والرزق والعطاء والمنع، ودفع الضرّ، وجلب النفع، هو الذي يجب أن يُفرد بالعبادة التي هي غاية الخضوع والذلّ مع الفقر والحاجة العزيز الغني القادر المنعم».

والشيخ ابن باديس في تقرير ذلك كلّه يستدلّ بالآيات البيّنات

المحكمات والأحاديث الصحيحة الواضحات، مستنيرًا بفهم السلف الصالح من أهل القرون الثلاثة الخيرة رضوان الله عليهم.

٢ ـ تصريحه بملء فيه في أكثر من مناسبة ـ واللسان ترجمان الجَنان ـ أنّ عقيدته سلفية نقية لا شيّة فيها:

قال رحمه الله في نصيحة غالية للمسلمين:

«اعلموا ـ جعلكم الله من وعاة العلم ورزقكم حلاوة الإدراك والفهم، وجمّلكم بعزّة الاتّباع، وجنّبكم ذلّة الابتداع ـ أنّ الواجب على المسلم في كلّ مكان وزمان أن يعتقد عقدًا يتشرّبه قلبه، وتسكن له نفسُه، وينشرح له صدره، ويلهج به لسانه، وتنبني عليه أعماله، أنّ دين الله تعالى من عقائد الإيمان، وقواعد الإسلام، وطرائق الإحسان، إنّما هو في القرآن والسنّة الصحيحة وعمل السلف الصالح، من الصحابة والتابعين وأتباع التابعين، وأنّ كلّ ما خرج عن هذه الأصول ولم يحظ لديها بالقبول ـ قولاً كان أو عملاً أو عقدًا أو احتمالاً ـ فإنّه باطل من أصله مردود على صاحبه كائنًا من كان في كلّ زمان ومكان. فاحفظوها واعملوا بها تهتدوا وترشدوا إن شاء الله تعالى، فقد تظافرت عليها الأدلّة من الكتاب والسنّة وأقوال أساطين الملّة، من علماء الأمصار وأئمّة الأقطار وشيوخ الزهد

الأخيار، وهي لعمر الحقّ لا يقبلها إلاّ أهل الدين والإيمان، ولا يردّها إلاّ أهل الزيغ والبهتان، واللهَ أسأل التوفيق لي ولكم ولجميع المسلمين، والخاتمةَ الحسنة والمنزلةَ الكريمة في يوم الدين. آمين والحمد لله ربّ العالمين».

٣ ـ شهادة أعرف الناس به: أخيه في الإسلام ورفيقه في الجهاد والدعوة والإصلاح العلاّمة الأديب الشيخ محمد البشير الإبراهيمي رحمه الله تعالى الذي كتب تقديمًا لرسالة العقائد الإسلامية لابن باديس جاء فيه:

«والإمام ـ رضي الله عنه ـ كان منذ طلبه للعلم بتونس قبل ذلك ـ وهو في مقتبل الشباب ـ ينكر بذوقه ما كان يبني عليه مشايخه من تربية تلامذهم على طريقة المتكلّمين في العقائد الإسلامية، ويتمنى أن يخرج تلامذته على الطريقة القرآنية السلفية في العقائد يوم يصبح معلّمًا، وقد بلّغه الله أمنيّته: فأخرج للأمّة الجزائريّة أجيالاً على هذه الطريقة السلفية قاموا بحمل الأمانة من بعده، ووراءهم أجيال أخرى من العوام الذين سعدوا بحضور دروسه ومجالسه العلمية».

«وهذا درس من دروسه ينشره اليوم في أصل العقيدة الإسلامية بدلائلها من الكتاب والسنّة تلميذه الصالح كاسمه: محمد الصالح رمضان:

فجاءت عقيدة مُثْلَى يتعلّمها الطالب فيأتي منه مسلم سلفيّ، موحّد لربّه بدلائل القرآن، كأحسن ما يكون المسلم النقيّ، ويستدلّ على ما يعتقد في ربّه بآية من كلام ربّه، لا بقول السنوسي في عقيدته الصغرى: «أمّا برهان وجوده تعالى فحدوث العالم!»[١].

آثاره العلمية:

لم يخلّف العلاّمة ابن باديس ـ رحمه الله تعالى ـ آثارًا علميّةً كثيرةً لسببين:

❋ **الأوّل**: انشغاله «بتعليم جيل، وتربية أمّة، ومكافحة أمّية، ومعالجة أمراض اجتماعية، ومصارعة استعمار يؤيّدها»، وممّا أُثر عنه قوله ـ رحمه الله ـ «**شَغَلَنا تأليف الرجال عن الكتب**».

❋ **السبب الآخر**: ضياع العلم الذي نذر نفسه لخدمته وبثّه في طلبته، وذلك يرجع لأمرين:

أ ـ أنّ تلاميذه ـ للأسف ـ لم يقيّدوا أماليه وشروحه وآراءه وفتاويه.

---

(١) العقائد الإسلامية (ص ١٥) طبعة دار الفتح ـ الشارقة ـ الإمارات العربية المتحدة.

يقول الشيخ الإبراهيمي ـ رحمه الله تعالى ـ:

« لم يكتب الأخ الصديق أماليه في «التفسـير»، و لم يكتب تلامذته الكثيرون شيئًا منها، وضاع على الأمّة كنزُ علمٍ لا يُقوَّمُ بمال، ولا يُعوّضُ بحال، ومات فمات علم التفسير وماتت طريقة «ابن باديس» في التفسير.

ولكنّ الله تعالى أبى إلاّ أن يذيع فضله وعلمه، فَألهمه كتابـة مجالس معـدودة من تلك الدروس، وكـان ينشرهـا فـواتـح لأعداد من مجلّة «الشهاب» ويسـمّيها «مجالس التذكير»، وهي نموذج صادق من فهمه للقرآن وتفسيره له، كما أنّها نموذج من أسلوبه الكتابي.

هذه المجـالس العـامرة هي التي تصدّى الأخ الـوفيّ أحمد بوشمال ـ عضد الإمام المفسّر وصفيّه وكاتبه والمؤتمن على أسراره ـ بتجريدها من مجلّة «الشهاب» ونشرها كتابًا مستقـلاًّ، قـيامًا بحقّ الوفاء للإمام الفقيد، وإحياءً لذكراه أخرج أشرف أثر من آثاره».

ب ـ أنّ الاستعمار الفرنسي الغاشـم عمل ـ منذ اندلاع الثورة التحريرية سنة ١٩٥٤م ـ على إحراق كلّ ما عثر عليه من مجلّة أو كتاب أو رسالة كُتبت بالعربية، ومن ثَمّ فقد ضاعت كتاباتٌ كثيرة للشيخ ابـن باديس ـ رحمه الله تعالى ـ.

ومع ذلك فإنّ بعض المحبّين من نجباء تلاميذ الشيخ نشر ما تيسّر له من آثاره الباقية(١)، فظهر منها:

١ ــ **تفسير ابن باديس** أو «مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير»: تحقيق وتعليق الأستاذ محمد الصالح رمضان ود. توفيق شاهين، نشر دار الفكر ــ بيروت.

٢ ــ **رجال السلف ونساؤه**: جمع محمد الصالح رمضان، نشر مكتبة الشركة الجزائرية سنة ١٩٦٥م.

٣ ــ **العقائد الإسلامية** من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية: رواية وتعليق الأستاذ محمد الصالح رمضان، تقديم العلاّمة الشيخ محمد البشير الإبراهيمي نشر مكتبة الشركة الجزائرية ط٢ سنة ١٣٨٥هـ ــ

(١) كما عزمت وزارة الشؤون الدينية بالجزائر على نشرها، فأخرجت ستّة أجزاء من آثار الإمام ابن باديس ــ رحمه الله ــ، وفّق الله القائمين عليها لبعث تراث «جمعية العلماء» وأعانهم على إحيائه.

وقبلها عمل الدكتور عمار طالبي في كتابه «ابن باديس: حياته وآثاره» المطبوع في أربعة أجزاء على جمع ما وقف عليه من مقالات الشيخ في شتى الجرائد والمجلاّت بعد تجريدها منها، فأفاد الباحثين أيّما إفادة، جزاه الله خيرًا.

١٩٦٦م. ثمّ نشر مرّات آخرها من دار الفتح بالشارقة بالإمارات العربية المتّحدة سنة ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م.

٤ ـ **مبادئ الأصول**[١]: تحقيق د. عمّار طالبي، طبع الشركة الوطنية للنشر والتوزيع بالجزائر سنة ١٩٨٠م.

٥ ـ **رسالة جواب سؤال عن سوء مقال**[٢]: نشر المطبعة الجزائرية الإسلامية بقسنطينة. دون تاريخ.

نموذج من رسائل الشيخ الخاصّة:

قال الشيخ مبارك الميلي ـ رحمه الله ـ أحد تلامذته:

«وكتب إلينا الأستاذ الجليل عبد الحميد بن باديس أحد شيوخنا وزعيم نهضتنا بنظرة في كتابنا[٣]، وهذا نصّ رسالته:

---

(١) وقد شرحه في حلقات أستاذنا الفاضل د. محمد علي فركوس حفظه الله ثمّ نشره في كتاب جزاه الله خيرًا.

(٢) وقد خرجت أخبارها وعلّقت عليها، فلعلّ الله ييسّر تبييضها ونشرها.

(٣) يعني كتابه «تاريخ الجزائر في القديم والحديث».

«حصن الماء» مساء الثلاثاء ١٥/١/١٣٤٧هـ

«الحمد لله !

أخي مبارك !

سلام ورحمة، حيَّاك اللهُ تحيّةَ مَنْ عَلِمَ وعَمِلَ وعَلَّمَ !

وقفتُ على الجزء الأوّل من كتابك «**تاريخ الجزائر في القديم والحديث**» فقلتُ: لو سمّيته «حياة الجزائر» لكان بذلك خليقًا، فهو أوّل كتاب صوّر الجزائر في لغة الضاد صورةً تامّةً سويّةً، بعدما كانت تلك الصورةُ أَشْلاَءَ مُتفرّقةً هنا وهناك، وقد نفخت في تلك الصورة من روح إيمانك الديني والوطني ما سيبقيها حيّةً على وجه الدهر، تحفظ اسمك تاجًا لها في سماء العُلا، وتخطّه بيمينها في كتاب الخالدين.

أخي مبارك !

إذا كان من أحيا نفسًا واحدة فكأنّما أحيا الناس جميعًا، فكيف من أحيا أمّةً كاملة ؟ أحيا ماضيها وحاضرها وحياتها عند أبنائها حياة مستقبلها، فليس والله كفاء عملك أن تشكرك الأفراد ولكن كفاءه أن تشكرك الأجيال.

وإذا كان هذا في الجيل المعاصر قليلاً، فسيكون في الأجيال الغابرة

كثيرًا، وتلك سنّة الله في عظماء الأمم ونوابغها، ولن تجد لسنّة الله تبديلاً !

وأنا واحد من هذا الجيل بلسان من يشعرون شعوري، أشكرك لأقوم بما علينا من واجب لا لمقابل ما لك من حقّ !

جزاك الله خيرَ ما جازى به العالمين المخلصين للدين والوطن، بعلم وتحقيق وإنصاف.

والسلام عليك من أخيك: عبد الحميد بن باديس»[(١)].

من أقواله البليغة وكلماته الحكيمة:

* في شروط نجاح الدعوة:

«إنّ الدعوة إلى الحقّ لا تنجح إلاّ إذا كانت كما أمر الله تعالى: بالحكمة والموعظة الحسنة والجدال بالتي هي أحسن»[(٢)].

* في وظيفة المرأة:

«المرأة خُلقت لحفظ النسل، وتربية الإنسان في أضعف أطواره ﴿وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلاثُونَ شَهْرًا﴾ فهي ربّة البيت وراعيته والمضطرّة

---

(١) المصدر نفسه (٩/١-١٠).

(٢) آثار ابن باديس (٥/٣٣).

بمقتضى هذه الخلقة للقيام به.

فعلينا أن نعلّمها كلّ ما تحتاج إليه للقيام بـوظيفتها، ونربّيها على الأخلاق النسوية التي تكون بها المرأة امرأة، لا نصف رجل ونصف امرأة. فالتي تلد لنا رجلاً يطير خيرٌ من التي تطير بنفسها»[١].

❁ ما جمعته يد الله لا تفرّقه يد الشيطان:

«إنّ أبناء يعرب وأبناء مازيغ قد جمع بينهم الإسلام منذ بضعة عشر قرنًا، ثمّ دأبت تلك القرون تمزج ما بينهم في الشدّة والرخاء، وتؤلّف بينهم في العسر واليسر، وتوحّدهم في السرّاء والضرّاء، حتى كوّنت منهم منذ أحقاب بعيدة عنصرًا مسلمًا جزائريًا، أمّه الجزائر وأبوه الإسلام.

وقد كتب أبناء يعرب وأبناء مازيغ آيات اتّحادهم على صفحات هذه القرون بما أراقوا من دمائهم في ميادين الشرف لإعلاء كلمة الله، وما أسالوا من محابرهم في مجالس الدرس لخدمة العلم.

فأيّ قوّة بعد هذا يقول عاقل تستطيع أن تفرّقهم ؟ لو لا الظنون الكواذب والأماني الخوادع يا عجبًا ! لم يفترقوا وهم الأقوياء، فكيف

---

(١) آثار ابن باديس (٥/٤٤١).

يفترقون وغيرهم القويّ، كلاّ والله، بل لا تزيد كلّ محاولة للتفريق بينهم إلاّ شدّة في اتّحادهم وقوّة لرابطتهم (ذمّتي بما أقول رهينة وأنا به زعيم)، والإسلام له حارس، والله عليه وكيل»[١].

✵ في الطرق الصوفية وأثرها السيّء في الأمّة:

«كان الناس لا يرون الإسلام إلاّ الطرقية، وقد زاد ضلالهم ما كانوا يرون من الجامدين والمغرورين من المنتسبين للعلم من التمسّك بها والتأييد لشيوخها، فلمّا ارتفعت دعوة الإصلاح في «المنتقد» و«الشهاب» حسب الناسُ أنّ هدم تلك الأضاليل التي طال عليها الزمان، ورسخها الجهل، وأيّدها السلطان، محال !!

ولقد صمد «الشهاب» للطرقية: يحارب ما أدخلته على القلوب من فساد عقائد، وعلى العقول من باطل أوهام، وعلى الإسلام من زور وتحريف وتشويه، إلى ما صرفت من الأمّة عن خالقها بما نصبت من أنصاب، وشتّت من كلمتها بما اختلقت من ألقاب، وقتلت من عزها بما اصطنعت من إرهاب، حتى حقّت للحقّ على باطلها الغلبة، فهي اليوم

---

(١) آثار ابن باديس (٥/٤٥٩).

معروفة عند أكثر الأمّة حقيقتها، معلومة غايتها، مفضوحة دوافعها... إذا دعاها داعي السلطان لبّت خاضعة مندفعة، وإذا دعاها داعي الأمّة ولّت على أعقابها مدبرة.

ومن نكاية الله أن جعل أكبر فضيحتها على يد من يريد ممّن توالتهم من دون الأمّة مددها بما لها من مزايا عليه»[1].

من شعره رحمه الله تعالى:

شعب الجزائري مسلـــــم   وإلى العروبــة ينتســـب
من قال حـــاد عن أصلـــ   ــه أو قال مات فقد كذب
أو رام إدمـــاجًـــا لـــه   رام الــمحـــال من الطلب

❁❁❁

أشعب الجزائر روحي الفدى   لـــــما فيك من عزّة عربيّة
بنيت على الدين أركانـــها   فكانت سلامًا على البشرية

---

(١) آثار ابن باديس (٥/٥٨٧).

وفاته:

تُوُفِّي الشيخ ابن باديس مساء الثلاثاء ٨ ربيع الأوّل سنة ١٣٥٩هـ الموافق لـ ١٦/٠٤/١٩٤٠م إثر مرض قصير لم يَطُلْ، وشُيِّعَتْ جنازتُه في موكبٍ عظيم[1] يذكّر بموت عظماء الرجال من العلماء الربّانيّين وغيرهم، ودُفِنَ في روضة أسرته بحيّ الشهداء قرب مقبرة قسنطينة.

وقد رثاه غير واحدٍ من رفقائه وتلامذته، في مقدّمتهم شاعر الجزائر الكبير الأستاذ محمد العيد آل خليفة رحمه الله الذي نظم قصيدة قال فيها:

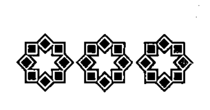
يا قبرُ طبتَ وطاب فيك عبيرُ	هل أنت بالضيف العزيز خبيرُ ؟
هذا ابن باديس الإمام المرتضى	عبد الحميد إلى حماك يصيرُ
العالِمُ الفَذُّ الذي لعلومه	صيتٌ بأطراف البلاد كبيرُ
بعثَ الجزائرَ بعد طول سُباتها	فالشعبُ فيها بالحياة بصيرُ
وقضى بها خمسين عامًا كلّها	خير لكلّ المسلمين وخير
ومضى إليك تخصّه بثنائها	وإليه من بين الأنام نشير
عبد الحميد لعلّ ذكرك خالد	ولعلّ نزلَكَ جَنَّةٌ وحريرُ

---

(١) قيل إنّ مشيّعيه بلغوا خمسين ألفًا بل زادوا.

ولعلّ غرسك في القـــرائح مُثمر ... ولعلّ وَرْيَكَ للعقــــول منيرُ
لا ينقـــضي حُزن عليك مجدّد ... وأسًى له بـــين الضلوع سـعيرُ
نم هادئًا فالشعبُ بعدك راشــد ... يختطّ نهجك في الهدى ويســيرُ
لا تخش ضيعة ما تركت لنا سدى ... فالوارثون لمـــا تركـــتَ كثــيرُ
نفحتك من نفحات ربّك نفحة ... وسقـــاك غيث من رضاه غزير

رحم الله شيخ مشـــايخنا العلاّمة ابن باديس رحمة واسعة، وأسكنه ـــ بمنّه وكرمه ـــ فسيح جنانه.



المصادر والمراجع:

✲ أوّلاً: الكتب

١ـــ آثار الإمام عبد الحميد بن باديس: (١-٦) نشر وزارة الشؤون الدينية بالجزائر.

٢ ـــ آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي (١-٥) طبع دار الغرب الإسلامي ـــ بيروت ط١ سنة ١٩٩٧م.

٣ ـــ ابن باديس حياته وآثاره (١-٤): جمع ودراسة د. عمّار طالبي، نشر الشركة الجزائرية ط٣ سنة ١٩٩٧م.

٤ ـــ الأعلام (١-٦): لخير الدين الزركلي، نشر دار العلم للملايين ـــ بيروت، ط٦ ١٩٨٤م.

٥ ـــ أعلام الفكر والثقافة في الجزائر المحروسة (١-٢). بقلم د. يحي بوعزيز. نشر دار الغرب الإسلامي ـــ بيروت ط١ سنة ١٩٩٥م.

٦ ـــ إمام الجزائر عبد الحميد بن باديس: بقلم د. عبد القادر فضيل والأستاذ محمد الصالح رمضان ـــ نشر دار الأمّة بالجزائر سنة ١٩٩٨م.

٧ ــ الإمام عبد الحميد بن باديس الزعيم الروحي لحرب التحرير الجزائرية: تأليف د. محمود قاسم. نشر دار المعارف بمصر سنة ١٩٦٨م.

٨ ــ تاريخ الجزائر في القديم والحديث (١-٢): تأليف مبارك بن محمد الميلي، قدّم له نجله محمد الميلي، نشر المؤسسة الوطنية للكتاب ــ الجزائر، دون تاريخ.

٩ ــ تفسير ابن باديس: جمع وترتيب وإعداد وتعليق: د. توفيق محمد شاهين ومحمد الصالح رمضان، وتقديم: د. محمد البهي، طبع دار الفكر ــ بيروت ط٣ سنة ١٩٧٩م.

١٠ ــ جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وأثرها الإصلاحي في الجزائر: إعداد د. أحمد الخطيب، نشر المؤسسة الوطنية للكتاب ــ الجزائر، ط ١٩٨٥م.

١١ ــ جهاد ابن باديس ضدّ الاستعمار الفرنسي في الجزائر: بقلم عبد الرشيد زروقة ــ نشر دار الشهاب بيروت ط١ ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.

١٢ ــ حياة كفاح: (١-٢) لأحمد توفيق المدني، نشر الشركة

الوطنية للنشر والتوزيع ـــ الجزائر سنة ١٩٧٧م.

١٣ ـــ روحـــي لكم: (ترجم ومختارات من الشـــعر الجزائري الحديث): بقلم محمد الأخضر عبد القادر السائحي، نشـــر المؤسسة الوطنية للكتاب ١٩٨٦م.

١٤ ـــ السعادة العظمى: للإمام محمد الخضر حسين، جمعه وحقّقه: علي الرضا التونســـي، ط ١٣٩٢هـــ/١٩٧٣م (دون ذكر الناشر ومكان الطبع).

١٥ ـــ شجرة النور الزكية في طبقـــات المالكية: تأليف محمد بـــن محمد مخلوف. نشـــر دار الكتاب العربي ـــ بـــيروت (دون تاريخ).

١٦ ـــ شيخ الجامع الأعظم محمد الطاهر بن عاشور: حياته وآثاره: تأليف د. بلقاسم الغالي ـــ نشر دار ابن حزم بيروت ط١ سنة ١٩٩٦م.

١٧ ـــ صراع بين السنّة والبدعة (١-٢): تأليف أحمد حمّاني، نشر دار البعث بقسنطينة سنة ١٩٨٤م.

١٨ ـــ صوت الجزائر في الفكر العربي الحديث: بقلم د. عمر بـــن

قينة، نشر ديوان المطبوعات الجامعية بالجزائر، ط ١٩٩٣م.
١٩ ـ معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر: تأليف عادل نويهض، نشر مؤسسة نويهض الثقافية ـ بيروت، ط٢ ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م.
٢٠ ـ النهضة الإسلامية في سير أعلامها المعاصرين (١-٥) تأليف د. محمد رجب البيومي ـ نشر دار القلم دمشق.

✵ ثانيًا: الجرائد والمجلاّت:

١ ـ جريدة «البصائر»: لسان حال «جمعية العلماء المسلمين الجزائريين»: أعداد السنة الأولى [١-٥٠] نشر دار البعث بقسنطينة سنة ١٩٨٤م.
٢ ـ مجلة «الثقافة»: تصدر عن وزارة الإعلام والثقافة بالجزائر ـ العدد (١٦).

الفهرس

الموضوع	الصفحة
مقدّمة:	٣
الباعث على إعداد «النُّبَذ»:	٥
منهجي في «النُّبَذ»:	٦
نبذة مختصرة عن العلامة الشيخ عبد الحميد بن باديس رحمه الله:	٩
اسمه ونسبه:	٩
مولده:	١٠
نشأته العلمية وأعماله:	١٠
شيوخه:	١٧
تلاميذه:	٢٢
ثناء أهل العلم والمعرفة عليه:	٢٧
عقيدته:	٣٣
آثاره العلمية:	٣٨

نموذج من رسائل الشيخ الخاصّة: ٤١
من أقواله البليغة و كلماته الحكيمة: ٤٣
من شعره رحمه الله تعالى: ٤٦
وفاته: ٤٧
المصادر والمراجع: ٤٩
أوّلاً: الكتب ٤٩
ثانيًا : الجرائد والمجلاّت: ٥٢
الفهرس: ٥٣

سيصدر قريبا

الإعْتِنَاء

بتهذيب «أدب الإمْلاَء والإسْتِمْلاَء»

للحافظ أبي سعد عبد الكريم بن محمد السّمعاني رحمه الله تعالى

(ت: ٥٦٢هـ)

إعْتَنَى بِهِ وهَذَّبَهُ وعَلَّقَ عَلَيْهِ

أبو عبد الرحمن محمود

مجالس الهدى للإنتاج والتوزيع الجزائر

صدر عن مجالس الهدى

النبذ في التعريف بأعلام «جمعية العلماء» (٢)

نبذة مختصرة

عن

العلامة الشيخ

«مبارك الميلي»

رحمه الله تعالى

١٨٩٨ م - ١٩٤٥ م

أعدها

محمود أبو عبد الرحمن

مجالس الهدى للإنتاج والتوزيع الجزائر